

الرسالة رقم: (٢٣) مجموع رسائل العلامة الميرزا علي القاري

العلامات النبوية

في فضائل

بعض الأئمة

تأليف العلامة

الميرزا علي القاري

طبع بمطبعة على نادر نجف مطبعة

تخريج وتعليق

ماهر أديب جوش

دار الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحفّيق

الحمد لله الذي أسعد النفوس بأحكام الدين الحميد، ونور القلوب بأنوار كتابه المجد، والصلاة والسلام على المرسل بالبينات والحجج، والمؤيد بكتاب غير ذي عوج، ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار التوحيد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

وبعد:

فإن كتاب الله الكريم هو المعجزة العظمى إلى يوم الدين، كما أنه المنهج الرباني للخلق أجمعين، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

والسنة النبوية الشريفة قد جعلها الله تفسيراً لهذا الكتاب، وتفصيلاً لمجمله، وبياناً لما فيه من الخاصّ والعامّ، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيّد، وغير ذلك من الأحكام.

وإلى جانب هذا فقد جاءت السنة النبوية لتبين بعض الخصائص المتعلقة بهذا الكتاب، ومن ذلك التنبيه على ما فيه من تفاضل بين الآيات والسور، مع أن الكلّ من كلام الله سبحانه المعجز، وذلك لحكم لا يعلمها إلا هو سبحانه، وإن كان للبشر بعض البحث في التعليقات، التي قد تخطئ وقد تصيب، وقد تبين جانباً من التعليل، الذي لا يعلمه بتمامه إلا الخالق الجليل.

فَمِنْ ذَلِكَ مَثَلًا: تَعْلِيلُ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ كَوْنَ (سُورَةِ الْكَافُرُونَ) تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، بِأَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَأْمُورَاتِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْقَلْبِ أَوْ الْجَوَارِحِ، فَيَكُونُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ، وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى النَّهْيِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْقَلْبِ، فَتَكُونُ كَرُبْعِ الْقُرْآنِ.

وَقِيلَ فِي ذَلِكَ: إِنَّ مَقَاصِدَ الْقُرْآنِ: صِفَاتُهُ تَعَالَى، وَالنُّبُوءَاتُ، وَالْأَحْكَامُ، وَالْمَوَاعِظُ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَسَاسِ الْأَوَّلِ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، وَلِذَا عَدَلَتْ رُبْعَهُ. وَقَالَ آخَرُ: إِنَّ الدِّينَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: عِبَادَاتٌ، وَمُعَامَلَاتٌ، وَجَنَائِزٌ، وَمُنَاكَحَاتٌ، وَالسُّورَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِلنَّوْعِ الْأَوَّلِ، فَكَانَتْ رُبْعًا.

وَلِكُلِّ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَوْجِيهَاتٌ وَإِيرَادَاتٌ لَيْسَ هَذَا مَجَالُ ذِكْرِهَا، أَوْرَدَهَا الْأَلُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»^(١)، وَإِنَّمَا سَقْنَا مَا سَقْنَاهُ لِبَيَانِ مُنَاقَشَةِ الْعُلَمَاءِ وَبَحْثِهِمْ فِي حَكْمِ مَا وَرَدَ مِنْ تَفْصِيلٍ لِبَعْضِ آيَاتِ وَسُورِ الْكِتَابِ الْكَرِيمِ. وَالْعَلَمَةُ الْقَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ سُبْحَانُهُ مِنَ الْعِلْمِ الْوَاسِعِ، وَالْإِطْلَاعِ الْعَظِيمِ عَلَى السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، قَدْ جَمَعَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي سَمَّاهَا:

«الْعَلَامَاتُ الْبَيِّنَاتُ فِي فُضَائِلِ بَعْضِ الْآيَاتِ»

مَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ نَصُوصٍ تَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ، مَزِينَةٌ بِبَعْضِ التَّعْلِيلَاتِ مِنْ نَحْوِ مَا أَسْلَفْنَاهُ، كَقَوْلِهِ: فَمَثَلًا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ لِمَا فِيهَا مِنْ بَيَانِ تَوْحِيدِ الذَّاتِ، وَتَفْرِيدِ الصِّفَاتِ، وَاشْتِمَالِهَا عَلَى النُّعُوتِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، أَفْضَلُ مِنْ سُورَةِ اللَّهَبِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ بَيَانِ ذَمِّ أَبِي لَهَبٍ وَامْرَأَتِهِ حَمَالَةَ الْحَطَبِ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَسَّعْ فِي هَذَا، بَلْ أَحَالَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ كُتُبِهِ، حَيْثُ

(١) انظر: «روح المعاني» (٣٧٦/٢٩) طبعة الرسالة.

قال: وقد بيّنتُ معاني هذه الأخبار وما يتعلّق بها من الأسرار في «المِرْقَاة شَرَحِ الْمَشْكَاة»، وكذا في «الْحِرْزِ الثَّمِينِ لشرح الحِصْنِ الحَصِينِ».

ثمَّ إنَّه لم يقتصِرْ على ذلك، بل تطرّق إلى موضوع يتعلّق به لعلّه رأى التّنبية عليه ضروريّاً، وهو ذكُر بعض العلماء ممّن استنار قلبه وعقله بهذا القرآن فجَمَعَ من جواهره ما فيه الخير العميم، والبعض الآخر ممّن أضلّه الله على علمٍ.

فذكر من الأوّل الإمام الغزاليّ، حيث قال: وممّن غاصّ في بحر المحيط القرآنيّ، وأبرز منه الجواهر والدرر المنسوبة إلى الكلام الفرقانيّ، الإمام حُجّة الإسلام، وبرهان الإعلام، أبو حامد الغزاليّ، حيث جَمَعَ اليواقيت واللآلي، ليواظب عليها المُريد لمقام المزيّد في الأيام والليالي...

ومن الثاني كما قال: ابنُ عربيّ وأتباعه الغبيّ، من شُراح كلامه في كُفريات مرامه، التي من جُمليتها اعتقاد أنّه سبحانه أوجد الأشياء وهو عَيْنُها...

وبعد، فهذه الرسالة الصّغيرة في مَبْنَاهَا، الواسعة في مُحْتَوَاهَا، اللّطيفة في مَعْنَاهَا، هي من دُرر ما كتبه العلامة القاري رحمه الله.

وقد اعتَمَدنا في تحقيق هذه الرسالة على ثلاث نسخ خطيّة نفيسة، الأولى: نُسخة فيض الله، وهي نسخةٌ جيدةٌ جدّاً؛ لكونها منقولةً من خطّ المؤلّف كما ذُكر في آخرها، ورُمّزها: «ف»، ونسخةٌ أسعد أفندي، ورُمّزها: «ع»، ونسخةٌ فاضل أحمد ورُمّزها: «أ».

هذا، ولا بد من التّنبية أنّ عنوان هذه الرسالة قد كُتب خطأً في النسخة الخطيّة لمكتبة أسعد أفندي، حيث جاء في أولها أنها رسالة: «المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية»، وكان الناسخ نظر إلى آخر هذه الرسالة حيث ورد ذكرها، فظنّها أنها عنوان الرسالة.

والحمد لله ربّ العالمين

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زَيَّنَ جِيدَ وجودنا بنور الإيمان، وعَيَّنَ عَيْنَ شهودنا بظهور الإيمان، وأَبْرَزَ لنا جواهرَ زواهر القرآن، وأَظْهَرَ لنا دُرَرَ غُرر الفرقان، من بحارِ عرفانِ الفضلِ والإحسان، وَمَنَّ علينا بإرسالِ النَّبِيِّ الأَكْمَلِ، وبإهداءِ الرَّسُولِ الأَفْضَلِ، مِن بني عدنان، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ما اختلفَ المَلَكُوانِ واختلفَ الفرقدان.

أَمَّا بَعْدُ:

فيقولُ الْمُلتَجِيءُ إلى حَرَمِ رَبِّهِ البَارِي، عليُّ بْنُ سُلْطَانِ مُحَمَّدٍ القَارِي: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بِمُقْتَضَى أَسْمَاءِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لِكَمَالِهِ، من نُعُوتِ جَمَالِهِ وَصِفَاتِ جَلَالِهِ، جَعَلَ الأشياءَ مُتَفَاوِتَةً في مراتبِ أحوالِها، وَمَنَاقِبِ انتِقَالِها، فَخَلَقَ المَلَائِكَةَ مَجَالِي أنوارِ جَمَالِهِ الرَّحْمَوِيَّةِ، وَالشَّيَاطِينَ مَرَائِي أسرارِ جَلَالِهِ الجَبَرَوِيَّةِ.

وَجَعَلَ أَفرادَ النُّوعِ الإنسانيِّ بِمَوْجِبِ التَّقْسِيمِ الرَّحْمَانِيِّ نوعين:

أحدهما: ما يُلَوَّنَ إلى الصِّفَاتِ المَلَكِيَّةِ، فترَقُّوا في الدَّرَجَاتِ العُلُويَّةِ، إلى أن تَجَاوَزُوا عن المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَوَصَلُوا في أعلى مراتبِ العِلِّيِّينَ.

والآخرون: آيَلُونَ إلى تحصيلِ مَقَامَاتِ الشَّيَاطِينِ، حَتَّى تَعَدَّوا عَنْهُمْ، وَنَزَلُوا مِنْهُمْ في أَسْفَلِ السَّافِلِينَ، كما أَشارَ عَزَّ شَأْنُهُ وَعَظَّمَ بُرْهَانُهُ إلى هذا المعنى في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أَي: من مَرَاتِبِ إِمْكَانِ الإِحْسانِ، ﴿ثُمَّ رَدَدْتُهُ

أَسْفَلَ سَفْلَيْنِ ﴿ بِمِيلِهِ إِلَى الطُّغْيَانِ وَالْعِصْيَانِ، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾؛
أي: الجامعين بين الإيمان والعملِ وَفَقَ الْعِرْفَانِ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٤-٦]؛
أي: غيرُ مَقْطُوعٍ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَزْمَانِ.

فُسْبِحَانَ مَنْ جَعَلَ فَرْدًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَفْضَلَ مَوْجُودَاتِهِ، وَصَيَّرَ آخَرَ مِنْ
مَصْنُوعَاتِهِ أَرْدَلًا مَشْهُودَاتِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ فِيمَا شَاءَ مِنْ مَكْنُونَاتِهِ.

وَانْظُرْ بَعَيْنَ الْإِعْتِبَارِ فِي تَفَاوُتِ الْأَحْجَارِ، حَيْثُ جَعَلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مُحَلًّا
الْأَنْوَارِ وَمَوْضِعَ الْأَسْرَارِ، حَتَّى وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ: أَنَّهُ يَمِينُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ،
يُصَافِحُ بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ^(١).

وَجَعَلَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ أَيْضًا مَنَسُوبًا إِلَى ذَاتِهِ، فَحَصَلَ لَهُ شَرَفٌ وَعِزَّةٌ فِي مَرَاتِبِ
حَالَاتِهِ، وَمَنَاقِبِ مَقَامَاتِهِ؛ كَبَيْتِ اللَّهِ، وَنَاقَةِ اللَّهِ.

وَجَعَلَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، وَأَبْهَمَهَا لِحِكْمَةٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، لَا أَطْلَاعَ
لِغَيْرِهِ عَلَى مَا هُنَالِكَ، وَكَذَا سَاعَةُ الْجُمُعَةِ مِنْ بَيْنِ السَّاعَاتِ، وَكَذَا الْاسْمُ الْأَعْظَمُ مِنْ
بَيْنِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَكَذَا فَضَّلَ مِنْ كَلَامِهِ بَعْضَ الشُّوَرِ وَالْآيَاتِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ صَرِيحُ الْأَحَادِيثِ
مِنَ الرُّوَايَاتِ.

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٢٨/٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١٧/٥٢)،
وابن الجوزي في «العلل» (٩٤٤)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال ابن
الجوزي: «لا يصح». ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣٧)، وابن الجوزي في «العلل»
(٩٤٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال ابن الجوزي: «لا يثبت». ورواه
عبد الرزاق في «المصنف» (٨٩١٩)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٣٢٣/١ و٣٢٤ و٣٢٦)، من
قول ابن عباس رضي الله عنهما.

منها: قوله ﷺ: «أَفْضَلُ سُورِ الْقُرْآنِ الْبَقْرَةُ، وَأَفْضَلُ آيِ الْقُرْآنِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ». رواه البَغَوِيُّ في «مُعْجَمِهِ»^(١).

ومنها: قوله ﷺ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ رُبْعُ الْقُرْآنِ». رواه أَبُو الشَّيْخِ في «الثَّوَابِ»^(٢).

ومنها: «هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ». رواه مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ^(٣).

ومنها: «هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ». رواه التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ^(٤).

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٣٢ زوائد الهيثمي)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٧١) و(١٧٤)، من طريق الحسن عن النبي ﷺ بإسناد صحيح كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٥١/١)، لكنه مرسل، ورواه الفريابي في «فضائل القرآن» (٧٤) عن ربيعة الجرشي عن النبي ﷺ، وهو مرسل أيضاً.

(٢) رواه من طريق أبي الشيخ: الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٨٠/١٦)، من طريق سلمة بن وردان عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وسلمة بن وردان ضعيف كما في «التقريب». لكن رواه بهذا الإسناد مطولاً: الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١/٣)، والترمذي (٢٨٩٥) وقال: حديث حسن. ولفظ أحمد: أن رسول الله ﷺ سأل رجلاً من صحابته فقال: «أَيُّ فَلَانٍ! هَلْ تَزَوَّجْتَ؟» قال: لا، وليس عندي ما أتزوج به، قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟» قال: بلى، قال: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾؟» قال: بلى، قال: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟» قال: بلى، قال: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾؟» قال: بلى، قال: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قال: «أَلَيْسَ مَعَكَ آيَةُ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؟» قال: بلى، قال: «رُبْعُ الْقُرْآنِ» قال: «تَزَوَّجَ تَزَوَّجَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وَلَمْ تَرِدِ الْقِطْعَةُ الَّتِي فِيهَا آيَةُ الْكُرْسِيِّ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَوَقَعَ فِي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عِنْدَهُ: «ثَلَاثُ الْقُرْآنِ»، وهو الصحيح الموافق لأحاديث الصحيحين كما سيأتي.

(٣) رواه مسلم (٨١٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٧٨)، والحاكم في «المستدرک» (٣٠٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبیر، وقد تكلّم شعبه في حكيم بن جبیر وضعفه.

ومنها: قوله ﷺ: «الْفَاتِحَةُ أَعْظَمُ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ». رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه^(١).

ومنها: قوله ﷺ: «إِذَا زُلْزِلَتْ رُبُعُ الْقُرْآنِ». رواه الترمذي^(٢).

وفي رواية: «تَعْدِلُ نِصْفَ الْقُرْآنِ»^(٣).

ومنها: قوله ﷺ: «الْكَافِرُونَ رُبُعُ الْقُرْآنِ»^(٤).

ومنها: قوله ﷺ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ رَبِّ الْقُرْآنِ». رواه الترمذي^(٥).

ومنها: قوله ﷺ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثُلُثُ الْقُرْآنِ. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي^(٦).

ومنها: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ قَبْلَ أَنْ يَرْقُدَ، ويقول: «إِنَّ فِيهِنَّ آيَةً خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ آيَةٍ». رواه أبو داود والترمذي والنسائي^(٧).

(١) رواه البخاري (٤٤٧٤)، وأبو داود (١٤٥٨)، والنسائي (٩١٣)، وابن ماجه (٣٧٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من طريق سلمة بن وردان عن أنس، وقد تقدم لفظه والكلام عليه.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة»، ويمان ضعيف كما في «التقريب». ورواه الترمذي أيضاً (٢٨٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢٥١١) من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده الحسن بن سلم بن صالح العجلي، قال البيهقي: مجهول.

(٤) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من حديث أنس، وقد تقدم. ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي «الصغير» (١٦٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي (٢٨٩٥) من حديث أنس، وقد تقدم.

(٦) رواه البخاري (٥٠١٣)، وأبو داود (١٤٦١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه مسلم (٨١٢)، والترمذي (٢٨٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٧) رواه أبو داود (٥٠٥٧)، والترمذي (٢٩٢١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٩٧٢)، من حديث العرياض ابن سارية رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وهُنَّ: الحديدُ والحَشْرُ والصَّفُّ والجُمُعَةُ والتَّغَابُنُ والأَعْلَى. رواه النسائي^(١).
فهذه أحاديثٌ صحيحةٌ ورواياتٌ صريحةٌ دالةٌ على أنَّ بعضَ سُورِ القرآنِ أَفْضَلُ
من بعضها، وكذا بعضُ آياته أَفْضَلُ من سائرِها.

وقد بيَّنتُ معانيَ هذه الأخبارِ وما يتعلَّقُ بها من الأسرارِ في «المِرْقاةِ
شرحِ المشكاة»، وكذا في «الحِرْزِ الثَّمينِ لشرحِ الحِصْنِ الحَصِينِ».

ولا يزالُ العُلَمَاءُ والأولياءُ اختارُوا الأحزابَ والأُورادَ، وتلَخَّصُوا بعضَ السُّورِ
والآياتِ والأدعيةِ للزُّهَادِ والعُبَادِ؛ اقْتِصَاراً على الأَفْضَلِ، واختِصاراً على الأكْمَلِ،
وإنَّ كانتِ كلماتُ اللهِ سُبْحَانَهُ كُلُّهَا كاملةً، وفي مراتبِ كمالِها ومَنَاقِبِ جمالِها شاملةً
كافِلةً، قالَ تعالى: ﴿وَكَمَّمْتُ كَلِمَتٌ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وفي الحديثِ:
«أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّةِ»^(٢)، لكنَّ قَد يكونُ بعضها أتمَّ لكونِها في التأثيرِ أعمَّ.

والتَّحْقِيقُ: أنَّ كلماتِ اللهِ تعالى باعتبارِ ذاتِها وما يتعلَّقُ بها من كَمالاتِها على حدِّ
سواءٍ في حقيقةِ مقاماتِها، وإنَّما التَّفَاوُتُ باعتبارِ مُتعلِّقاتِها، فَمَثَلًا: (سورةُ الإخلاصِ)
لِمَا فيها من بيانِ توحيدِ الذَّاتِ، وتفريدِ الصِّفَاتِ، واشتِمَالِها على النُّعُوتِ الثُّبُوتِيَّةِ
والصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، أَفْضَلُ من (سورةِ اللَّهَبِ)؛ لِمَا فيها من بيانِ دَمِّ أَبِي لَهَبٍ وامراتِهِ
حَمَالَةَ الحَطَبِ.

وكذا (آيةُ الكرْسِيِّ) لاشتِمَالِها على بيانِ أسماءِ اللهِ الحُسْنَى وصِفَاتِهِ العُلَى،
أَفْضَلُ من (آيةِ المُدَايَنَةِ) ونحوِها فيما يتعلَّقُ بالمُعَامَلَةِ؛ فَإِنَّ شَرَفَ العِلْمِ بِشَرَفِ

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٤٨٣) عن معاوية بن صالح قال: إِنَّ بعضَ أهلِ العِلْمِ كانوا
يَجْعَلُونَ المُسَبِّحاتِ سِتًّا، وذكرها.

(٢) رواه البخاري (٣٣٧١) من حديثِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ورواه مسلم (٢٧٠٩) من
حديثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المَعْلُوم، وشرفَ الذِّكْرِ بِشَرَفِ المَذْكُورِ والمَفْهُوم، كما تَفَرَّرَ في فِضَائِلِ العِلْمِ،
وَمَرَاتِبِ العُلَمَاءِ وَمَنَاقِبِ الأولِيَاءِ، فَالْكُلُّ وَرَثَةُ الأنبياءِ، إِلَّا أَنَّ دَرَجَاتِهِمْ مُخْتَلِفَةٌ كَمَا
لَا يَخْفَى عَلَى الأَذَكِيَاءِ.

وَمَمَّنْ غَاصَ فِي بَحْرِ المُحِيطِ القُرْآنِيِّ، وَأَبْرَزَ مِنْهُ الجَوَاهِرَ وَالدُّرَرَ المُنَسُوبَةَ
إِلَى الكَلَامِ القُرْآنِيِّ، الإِمَامُ حُجَّةُ الإِسْلَام، وَبُرْهَانُ الإِعْلَام، أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ، حَيْثُ
جَمَعَ اليَوَاقِيتَ وَالدَّلَالِي، لِيُوَاطِبَ عَلَيْهَا المُرِيدُ لِمَقَامِ المَزِيدِ فِي الأَيَّامِ وَالدَّلَالِي،
وَيَتَرَقَّى عَنِ الحَضِيضِ الأَدْنَى إِلَى المَقَامِ الأَعْلَى، وَيَلْتَقِطُ مِنَ البَحْرِ الأعْظَمِ الأَكْبَرِ
الْيَاقُوتَ الأَحْمَرَ، وَالدُّرَّ الأَزْهَرَ، وَالزَّبَرْجَدَ الأَخْضَرَ، وَالعَنْبَرَ الأنْضَرَ، وَيَتَخَلَّصُ مِنْ
شَوَاغِلِ السَّوَاحِلِ، وَرَوَاجِلِ الجَلَاكِ، وَيَسْتَعْرِقُ فِي بَحْرِ الشُّهُودِ، وَيَفْنَى فِي لُجَّةِ
الْوُجُودِ، وَيَبْقَى بِبَقَاءِ الكَرَمِ وَالجُودِ، وَيَصِلُ بَعْدَ طَيِّ مَقَامَاتِ المُجَاهِدَةِ، إِلَى حَالَاتِ
المُشَاهَدَةِ، كَمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا المَقَامِ حَدِيثُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الإِحْسَانُ أَنْ تُعْبَدَ اللهُ كَأَنَّكَ
تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

فَاتَرُكْ مَا سِوَاهُ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَقَدْ قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

فَعُمْدَةُ الطَّرِيقِ المُوصِلِ إِلَى التَّحْقِيقِ: مُوَافَقَةُ ذِكْرِ اللهِ، وَمُخَالَفَةُ مَا يَشْغَلُكَ
عَنِ اللهِ، وَهَذَا هُوَ السَّيْرُ إِلَى اللهِ، وَفِي اللهِ، وَبِاللهِ، وَمَعَ اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.
ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَقْرَبُ إِلَى المُرِيدِ مِنْ حَبْلِ الِوَرِيدِ، وَمِنْ كَمَالِ
نُورِهِ اخْتَفَى جَمَالُ ظُهُورِهِ، أَوْ لَضَعُفُ بَصَرِكَ وَنُقْصَانِ نَظَرِكَ، أَوْ ظُلْمَةُ قَلْبِكَ
عَنْ مُشَاهَدَةِ رَبِّكَ، فَعَلَيْكَ بِالتَّخْلِيةِ وَالتَّحْلِيَةِ؛ لِتَصِيرَ مَرَأَةً قَلْبِكَ قَابِلَةً لِلتَّجَلِّيَةِ.

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فإنَّ مثالَ الطَّالِبِ والمَطْلُوبِ في نظرِ أربابِ القُلُوبِ كصورةٍ حاضرةٍ معَ مِرَاةٍ حاضرةٍ، فمتى صَقَلَتْهَا تجلَّتْ منه الصُّورَةُ، بارتِحَالِ الصُّورَةِ إلى المِرَاةِ بالضرورة، لا بارتِحَالِ الصُّورَةِ إلى المِرَاةِ، ولا بحَرَكَةِ المِرَاةِ إلى الصُّورَةِ من الهيئات، ولكنْ بزوالِ الحِجَابِ، وارتفاعِ النُّقَابِ، يتجلَّى ربُّ الأربابِ.

ولكنْ هُنَا مَرَلَةُ الأقدامِ لسالكِي هذا المَقَامِ، فإنَّه إذا ظَهَرَ فيكَ تَجَلِّيهِ، ولم يَثْبُتْ قَدْمُكَ فيه، بادَرْتَ إلى الوسواسِ الشَّيْطَانِيِّ، وقلتَ: أنا الحقُّ وسُبْحاني، وتَدَرَّعَ اللاَّهُوتُ بالنَّاسوتِ، وغَفَلْتَ عن مَقَامِ جمعِ الجمعِ الفارقِ بينَ الرَّبِّ والطَّاغُوتِ، إلَّا أنْ يُثَبِّتَكَ اللهُ بالعلمِ القرآنيِّ، والفَهمِ الفرقانيِّ، فتَعْرِفَ أنَّ الصُّورَةَ ليست في المِرَاةِ بالضرورة، وإنَّما تجلَّتْ لها وما حَلَّتْ فيها، ولو حَلَّتْ بالفَرَضِ والتَّقْدِيرِ، لَمَا تُصَوَّرُ أن يتجلَّى واحدٌ في الجمعِ الكثيرِ، في آنٍ واحدٍ وزمانٍ مُتَّحِدٍ، بل كَانَ إذا حَلَّتْ في مِرَاةٍ وظَهَرَتْ لها ارتحلت عن غَيْرِهَا، وهِيَهَاتَ هِيَهَاتَ عن هذه الوَقْعَةِ، فإنَّه يتجلَّى لَجُمْلَةِ العَارِفِينَ دُفْعَةً، نعم يتجلَّى في بعضِ المَرَائِي أَصَحَّ، وأَتَمَّ وأَوْضَحَ، وذلك بحسَبِ قابِلِيَةِ المَجَالِي وصَقَالَةِ المَرَائِي، وصِحَّةِ استدارتها، وشِدَّةِ استقامتها.

ولعلَّه ﷺ قَالَ في هذا المَقَامِ: «إِنَّ اللهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً، ولأبي بكرٍ خَاصَّةً»^(١)، فالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِمَّا يَظْهَرُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ مِنَ الْكَدَرِ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَلِمَاتِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ وَأَتْبَاعِهِ الْغَبِيِّ، مِنْ شُرَاحِ كَلَامِهِ فِي كُفْرِيَّاتِ مَرَامِهِ، الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا اعتقادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ عَيْنُهَا، وَهَذَا عَيْنُ الْخَطَا فِي نَظَرِ الْعُرَفَاءِ؛ فَإِنَّ الْمُوجِدَ قَدِيمٌ، وَالْمُوجَدَ حَادِثٌ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ عَيْنَ الْخَالِقِ، وَيَسْتَوِيَا فِي مَرَاتِبِ الْحَقَائِقِ؟!

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢١٦/٥) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث باطل. ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٢٥-٢٢٨) من روايات وطرق شتى، ثم قال: هذا الحديث لا يصح من جميع طرقه.

وَالْغَرِيبُ أَنَّهُمْ أَخَذُوا الْعَيْنِيَّةَ مِنْ آيَةِ الْمَعِيَّةِ، وَقَدْ ابْتُلِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الْإِلْحَادِيَّةِ
وَالْإِتِّحَادِيَّةِ فِي هَذِهِ الْبَلِيَّةِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ فِي رِسَالَتِي الْمُسَمَّاةِ بِـ:
«الْمَرْتَبَةُ الشُّهُودِيَّةُ فِي الْمَنْزِلَةِ الْوُجُودِيَّةِ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

(١) جاء في آخر النسخة الخطية «ف»: «من خط المؤلف نُقل».